المقدمة

مر الإنسان بمراحل كثيرة فى حياته الفكرية العامة، أى فى التصورات التى قدمها عبر العصور حول العلاقة بينه وبين الطبيعة أو الكون، وبينه وبين الأشياء التى يزخر بها هذا الكون، وحاول من خلالها أن يدرك تلك الأشياء أو يستخدمها ليظفر من وراء ذلك بمعرفته للعالم وبسيطرته عليه.

وسنحاول هنا فى هذا الباب أن نتتبع تلك المراحل فى عرض تاريخى تكون الأولوية فيه لتطور المشكلة نفسها وللطريقة التى اختارها إنسان الحضارة الغربية فى وضعه لها وفى كيفية طرحه للتساؤلات حولها باعتبار أن الفلسفة هى علم إثارة التساؤلات وطرح المشكلات الخاصة بتلك العلاقة على وجه التحديد: علاقة الإنسان بالعالم. وسواء تبلورت هذه العلاقة فى طراز معرفى إدراكى يقوم على محاولة الإنسان الوصول إلى الحقيقة واليقين أو فى موقف عام يتخذه الإنسان من الحياة ويتسم بالجرأة والمواجهة، فإن هذا الإنسان قد فطن إلى أن استكشافه الفكرى للعالم الخارجى – سواء كان مفهومًا على أنه الكون أو الطبيعة تارة أو على أنه الحياة تارة أخرى – لابد أن يمر بعالمه الداخلى وهو الذات أو الشعور أو الوعى. وفطن فى الوقت نفسه إلى أن هذه الذات ليست فقط ذاتا عارفة، بل هى طاقة شعورية وجدانية، وذلك لأن الحكمة التى غالبا ما تفهم على أنها مرادفة للفلسفة ليست هى بالدقة المعرفة، ولأن الفلسفة – فى نهاية المطاف – ليست موضوعا يطرح للبحث بقدر ما هى رسالة.

* * *